٣٣. ابحثوا عن الحبل السري الخفي

منذ أن أصبحت أما و أنا أؤمن أن الحبل السري الذي يربط الأم بطفلها

طوال فترة الحمل ,لا يتم قطعه كله أثناء عملية الولادة , إنما يبقي جزء
آخر خفي , لا يراه الأطباء و لا يعلمون عنه شيئا و قد يكون لا يرى بالعين المجردة .يبقي هذا الجزء مدى الحياة ليربط الأم بوليدها , فتشعر
بكل ما يشعر به في كل لحظات حياته , وإن طالت المسافات بينهما. تشعر به إن تألم أو سعد , إن جاع أو شبع , إن نجح أو فشل
و يظل الإبن كذلك مرتبطا بهذا الرباط أو الحبل الخفي بأمه مهما كبر أو

شاخ , مهما تغرب أو ابتعد , فلا يكتمل طعم السعادة في فمه إلا برضا أمه عنه و لا تقر عيناه إلا إذا سعدت , فتجد الابن يبكي , مهما كبر , لمجرد أن يلمح دموع أمه تلمع في عينيها , و يستشعر أحلي لحظة في
الحياة عندما يري إبتسامة أمه تلوح علي وجهها , و يشعر بأنه قد طال
عنان السماء و قمة الفخر عندما تفخر به أمه في موقف ما
لا يمكن أن يكون الحبل السري طوال التسعة أشهر , في حياة الأم التي
قد يطول بها العمر , و في حياة الابن الذي لا يتذكر شيئا عن طفولته المبكرة هذه , هي السبب وراء هذا الرباط القوي بينهما .لا أصدق أن الحبل السري قد انقطع فعلا بعملية ولادة يقوم بها طبيب مختص بحسب كتب درسها في كلية الطب
و إلا ففسر لي لماذا تسيل الدموع من عينيك , بل من قلبك , لمجرد أن تري أمك تتألم , مع أنك لا تشعر بأي ألم ! لماذا تذرف الأم الدموع في كل المواقف مع أبنائها :إذا فرحوا أو إذا تألموا , إذا اقتربوا يقبلوها أو إذا
ابتعدوا عنها , إذا نجحوا في حياتهم أو إذا فشلوا , إذا سافروا و إذا عادوا ,

إذا مرضوا وإذا من الله عليهم بالشفاء . إن الأم لا تشعر بتعاطف مع أبنائها اذا تألموا , بل تشعر بذات الألم الذي يشعر به الابن إن لم يكن أقوي , و بفرحة أعمق من فرحة الابن نفسه .إنها لا تتأثر بمشاعره , بل
تشعر بنفس الشعور في نفس اللحظة بنفس القوة أو أكثر .و قد يغفل الابن أو يتهور مؤذيا نفسه فتتألم الأم قبل أن يتألم الابن و قد تضحي بنفسها لتفيقه من غفلته أو تهوره , وهو غافل لم يتألم بعد!
لا اجد أي تفسير علمي لهذه السلوكيات من الطرفين , فالعلماء يدعون
أن لكل إنسان جهاز عصبي منفصل يتلقي تعليماته من المخ بالألم أو بالفرحة فيتفاعل تلقائيا؟ لكن العلاقة بين الأم و أبنائها لا ينطبق عليها أي قانون من قوانين تعامل البشر مع بعضهم . إنها علاقة جسد واحد

منذ الحمل و حتي الممات , جسد لم ينفصل , يشعر بنفس العذاب و نفس الألم ونفس الفرحة . لا أستطيع أن أقول أن أحدهما يشعر بشعور مماثل للآخر في نفس اللحظة , بل أجزم أن هناك حبل سري , تيار كهربي يبقي متصل بينهما , يوصل نفس الأحاسيس في نفس اللحظة . قد يتعرض هذا التيار للتشويش في فترات بحث الابن عن ذاته
و لكنه لا ينقطع و لا يقف ابدا
لقد ميز الله الانسان بقدرته علي النسيان و التقلب و التغير .و هذا القانون لا ينطبق علي علاقة الأم بأبنائها , فلا أحد ينسي أمه و لا أم تنسي أبنائها و لا تتغير قلوبهم و لا تتقلب مشاعرهم تجاه بعضهم
خلق الله بداخلنا القدرة علي النسيان لننسي مثلا لحظات الألم أو التعاسة بمرور الأيام , لكن لا يستطيع أي ابن أن ينسي الألم الذي قد يسببه تفضيل أم لأحد أبنائها علي الآخر أو أنها مثلا فرطت فيه دون داع
, لا ينسي الأبناء ما حيوا هذا الألم , كما لا تنس الأمهات ما حيت ألم عقوق الأبناء و جحودهم ,آلا إذا رجعوا عنه , فهل هذا تحد لطبيعة

البشر؟
خلق الله الانسان يحب نفسه اكثر من اي شئ و لا يفرط في حياته بل يخاف عليها و يحميها بكل مايملك , لكننا نسمع عن قصص كثيرة بذلت
فيها الأمهات حياتها من أجل إسعاد أبنائهم , و قصص أبناء حملوا أمهاتهم فوق أكتافهم ليسعوا بهم في الحج مثلا .أو باعوا أجزاءا من أجسادهم من أجل الحصول علي الدواء لأمهاتهم..
كل هذا و غيره الكثير من الشواهد الحقيقية , يؤكد لي و لكم ان العلاقة بين الأم و الإبن اقوي بكثير من علاقة وجدت بسبب الحبل السري المقطوع او بسبب فترة التسعة أشهر , علاقة لا اتوهمها , تجعل منهما في رأيي شخصا واحدا يملك نفس الجهاز الحسي و العصبي , الذي يبقي تواصله موجودا بينهما طول العمر , و يشعر أحدهما بضمور في هذا الجهاز اذا مات الطرف الاخر.
لهذا أدعو العلماء و الأطباء أن يبحثوا عن الحبل السري الخفي و يقروه في أبحاثهم , لأنه موجود بالفعل و بالدليل القاطع , و لا أعرف كيف تجاهلوه؟ أدعوهم أن يعودوا لمعاملهم و أبحاثهم ليخرجوا لنا بالحقيقة الكاملة .بل و يعلنوها للعالم أجمع , حقيقة أن الام و الابن هما مخلوق واحد بروح واحدة , تظل تنمو وتترعرع في داخلهما للأبد و
بلا نهاية.